### **المحاضرة الرابعة**

**تطور النقد المغربي القديم ومرجعياته**

### **الروافد الثقافية للنقد في المغرب العربيّ:**

يتطلب الوصول إلى وظيفة ناقد ثقافة وممارسة ودربة. وقد ارتكز النقد المغربي القديم، على مجموعة من الروافد والمرجعيات التي شكلت له ركائز صلبة مكنته من الانطلاق والاستقلال مثله مثل الأدب، ومن هذه الروافد يمكن استخلاص نوعين، يعزى الأول للظروف الداخلية الخاصة بالبلاد، والثاني خارجي، متعلق بما وصل المغرب من المشرق.

**أولا- الرافد الداخلي:**

يتعلق هذا الرافد بالمراكز الثقافية التي ظهرت في المغرب، والتي شهدت حركة فكرية نشيطة، وقضايا تتعلّق بالشعر والنثر وبغيرها من القضايا. ومن تلك الحواضر نذكر: القيروان، وتيهرت، وتلمسان، ومراكش، وفاس، وسبتة، وغيرها.

**ثانيا- الرافد الخارجي:**

ويقصد به العامل المشرقيّ العربيّ، ويتمثل فيما دخل المغرب من نظريات نقدية وبلاغية عن طريق الاتصال بالمشرق، ما مكنهم من الإلمام بجوانب كثيرة من النقد ومن الأدب، كما شكّل لديهم خلفيات ثقافية وأرصدة هائلة سمحت لهم بدراسة النصوص وتذوقها. ويقدر الدارسون أن هذا العامل بقدر أهميته بالنسبة للمغاربة بقدر ما شكل خطرا على النصوص المغربية في حد ذاتها. يقول محمد مرتاض: ''وهذا الرافد الثاني بقدر ما لقّح الأفكار وأنار الطريق للمغاربة بقدر ما عقّد لهم الأمر، فهم قد وقفوا طويلاً قبل أن ينتجوا في مجال النقد أو الإبداع، لأنّ لهم خلفيات ثقافية، وأرصدة هائلة من التّراث المشرقي، وحتى يستطيع أحد أن يزعم الشاعرية، فإنه لابد أن يضع في حسابه من سبق من عباقرة هذا الفن كالمتنبي والبحتري وغيرهما. ولعلّ ذلك هو الذي حدا بهؤلاء إلى أن يقلّدوا حتّى في استشهاداتهم ولم يلتفتوا إلى الشاهد الأندلسيّ أو المغربيّ إلاّ لماما مثلما ينصّ عليه الدكتور علي لغزيوي'''.

وعن هذا الرافد يتفرع رافد آخر يتمثل في المنطق والفلسفة، ولو أن الفلسفة والمنطق كان لهما وضعية خاصة ببلاد المغرب، لاعتبارات سياسية واجتماعية، ومع ذلك يلمح المتتبع لنصوص النقد المغربي اطلاع هؤلاء على المنطق والفلسفة، وخاصة بعد القرن السادس للهجرة، كما يبدو من مؤلفات ابن البناء المراكشي صاحب (الروض المريع في صناعة البديع)، والسجلماسي صاحب (المنزع البديع في صناعة البديع).

والقول بتبعية النقد المغربي للمشرقي لا يعد تحاملا عليه أو إنقاصا لقيمته، بقدر ما يعدّ تنبيها لتأثير المشارقة الكبير على المغاربة، ولإعجاب هؤلاء بما وصل إليه النقد في المشرق، لذلك نجد مناهج المشارقة وآراءهم واضحة مكررة عند المغاربة، على غرار الجاحظ (ت255ه)، والآمدي (ت370هـ) في موازنته، والقاضي الجرجاني (ت395هـ) في وساطته، والرماني (ت386هـ)، والخطابي (ت388هـ)، والباقلاّني (ت403هـ) في إعجاز القرآن، مع احتفاظ المغاربة بمنهجهم الخاص وبذوقهم، ''فلابد من الاعتراف بأنّ النقد المغربيّ قد استطاع أن يؤصّل نفسه، ويؤسس لمدرسة نقدية كان لها الأثر في ما لحقها من نظريات نقدية متجدّدة فيما بعد؛ وفي هذا السياق يقرر الدكتور أمجد الطرابلسي حقيقة يقول فيها: "عرف القرن الهجريّ السابع، ومطلع الذي يليه مدرسة بلاغيّة عربيّة مغربيّة تستحق أن يوليها المهتمّون بالدراسات النقدية والبلاغية المقارنة عنايتهم، ويخصوها بتتّبعاتهم. وهي مدرسة يبدو واضحاً، من خلال الآثار التي تركها أعلامها، أنهم كانوا جميعاً- مع تمكنهم حق التمكن من اللغة العربية وآدابها بعامّة، ومن الدراسات النقدية والبلاغية العربية بخاصة- أحسن اطّلاعاً على منطق أرسطو، وأعمق فهماً لمضمون كتابه (الشعر) و(الخطابة) من النقاد والبلاغيّين الذين عرفتهم القرون السابقة في مشرق الوطن العربيّ ومغربه".

فبقدر استفادة المغاربة نقديا من النظريات الفلسفية والمنطقية والبلاغية المشرقية، بقدر اتباعهم منهجا يتلاءم مع بيئتهم الفكرية.

ومن الواضح أن هذه الروافد طبعت النقد بهذه البلاد، ووجهته للبحث في قضايا معينة منها (البديع)، و(اللفظ والمعنى)، و(السرقات)، و(القديم والجديد)، وهذا ما نقرأه في مؤلفات عبد الكريم النّهشلي، والحصري، والقزّاز، وابن شرف، وابن رشيق، والقاضي عياض وغيرهم.

**المصادر والمراجع:**

1- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

2- ابن شرف القيرواني: مسائل الانتقاد، ترجمه وقدم له شارل بلات، كاربونال، الجزائر، 1953.

3- عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، د ط، منشأة المعارف بالإسكندرية.

4- بشير خلدون: الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

5- الشيخ يوقربة: الشعر وقضاياه عند أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي، د ط، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005.

6- محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره، د ط، إتحاد الكتاب العرب، 2000.